المشرق

زراعة النخيل

للشاب الاديب ميشال افندي الياس سماحه

قالت فصحاء العرب ان النخيل زينة الحدائق وعروس الجنائن واحد اثمار الجنّة. ووصفهُ بعض كتبة الافرنج فقالوا انهُ فخر النبات واكليل الرياض وانفع الاشجار. وقد اتخذ الاقدمون سعف النخيل رمزًا وشعارًا يشيرون بهِ في احوالٍ شتّى الى الفرح والفوز والثبات الى غير ذلك ممّا تواتر ذكرهُ ووصفهُ في الاسفار المقدسة وتغنّى بذكرهِ الفصحاء والشعراء

ولا يزال سعف النخيل لغاية يومنا هذا من شعائر الاجلال والتعظيم ومن معالم الزينة والتكريم لنوادي الصناعة والفنون ومحافل العلم والادب. وليس في عالم النبات شجرٌ اصلح من النخيل من حيث تنوّع منافعهِ وكثرة مواردهِ لاصحابهِ خصوصًا وهو لا يستلزم عناء كبيرًا ولا يقتضي خدمات شاقة كما انهُ لا يستدعي نفقاتٍ طائلة. هذا وان النخيل من الاشجار المثمرة التي تعمّر طويلًا وربّما اربى عمرها على مائة عام وهي لا تنقطع عن الطرح ولا تنفك عن الإغلال. وقد تهب عليهِ في بعض المناطق والسهول الرياح الشديدة والاعاصير القوية فيقاومها بثبات ويكافح عجاجها بجأش

١ بلاد النخيل

النخيل من الفصيلة الطويلة الساق المعروفة بالوحيدة الفلقة (Monocotylédones) كاشجار الموز وجوز الهند وعود الند الى غير ذلك. وذكر احد المؤرخين ان اصل هذا النبات من جهات العرب ويذهب البعض ان اصلهُ من الواحات وهو ينبت

في تلك البلاد من تلقاء نفسهِ وبدون اهتمام خاصّ وقد عُني العرب بزراعة النخيل عنايةً عظيمةً فادخلوهُ في اثناء فتوحاتهم الى اكثر البلاد وغرسوا منهُ اشجاراً كثيرة. كما قد اهتمت بزراعتهِ اكثر الامم لثمرهِ الشهي اللذيذ ومحصولهِ الغالي العزيز فشغف بزراعتهِ الافرنسيس مع عدم موافقة سماء تربتهم لهُ وبلغ ما غرسهُ الاهالي هناك من شجر النخيل ما يقارب الخمسمائة حديقة ولا تزال زراعة هذا الصنف آخذة عندهم خطة الزيادة والتحسين ويقدّرون ريع النخلة الواحدة بستة فرنكات. والنخيل كثيرٌ في وادي النيل وهو اكثر اشجار القطر المصري ويقدرون المزروع منهُ ستة آلاف الف شجرة منها اربعة آلاف الف في الصعيد والباقي في الوجه البحري. اما ريعهُ فانهم يقدّرونهُ بما يزيد عن مليون ونصف مليون جنيه. غير ان معظم الغلّة الحاصلة يستهلكها المصريون في بلادهم ولا يُصدرون منها للخارج سوى كمية قليلة

ويُزرع النخيل في اكثر اقطار بلاد الشام وفي جميع انحاء العرب واكثرهُ في يثرب (المدينة) فهو فيها كالغياض بكثرتهِ ومَن دخل تلك المدينة خيل لهُ الدخول الى غوطة دمشق الشام. والاحساء مشهورة بنخيلها وكذلك القطيف واليمامة ويزرع النخيل في وادي العراق واكثرهُ في البصرة ويرتفع ماء الفرات في المدّ فيغطي في أيلّة الباسقين والنخيل ثم ينحطّ بالجزر فينكشف عنها ويعتني اهالي بلاد ايران بزراعة هذا الصنف. ومن البلاد المشهورة بزراعة النخيل بلاد الجريد وسُميت كذلك لكثرة نخلها ومثلهُ بلاد طرابلس الغرب وينمو نخلها نموّاً عجيباً حتى يدرك علو الشجرة المائة قدم. ويزرع النخيل في واحات فزّان وعلى ريعهِ يعتمد الاهالون لسداد عوزهم وعلى موسمهِ واغلالهِ تقوم عندهم سوق التجارة وتتوفّر الاشغال. ومنهُ في جوار مدينة صنعاء بنحو من ٢٠٠,٠٠٠ نخلة. ويزرع النخيل بكثرة في بلاد مراكش كما وانهُ ينبت في اكثر جهات افريقية الغربية ويوجد منهُ في بعض بلاد اسبانيا والبرتغال وايطاليا واليونان وكوبا وكاليفورنيا وخلافها. وقد اشتهرت بهِ سابقاً سواحل الشام حتى انّ اسم فينيقية (Phœnix) اشتقّ من اسم شجرهِ (Phœnix) وهو باليونانيّة النخيل لانّ هذا الشجر كان يزين تلك البلاد. وهو كثير في الهند وجزائر الملوك منهُ صنف لا يثمر الّا مرّة واحدة لكنّ شمروخهُ يحمل نيفاً وعشرين الف تمرة. ومنهُ صنفٌ آخر توكل براعمهُ

٢ اصول زراعته

ولا تجود زراعة النخيل في الاقاليم الباردة كما انهُ لا يعيش منفردًا في الصحاري لعدم حصول الاعتناء اللازم لإخصابهِ وتلقيح اشجارهِ . وفي فصل الربيع يبتدئ بالازهار ويكون ذلك اولًا في الذكر من النخيل ويحصل عند ذاك التلقيح الطبيعي ولعدم انتظامهِ قد تبقى اغلب ثمارهِ عقيمة فيعمد لذلك المزارعون سنويًا الى التلقيح الصناعي . اما كيفيَّة زراعتهِ فهي ان تُحرث الارض اولًا حرثًا جيدًا ثم تقسم الى خطوط متوازية ويُصنع فيها حُفر متباعدة عن بعضها بمقدار مترين على الاقل ويوضع فيها مقدار مناسب من السواد ثم تُنزل فيها الشُجيرات وتُطمر جذورها بالتراب وتسقى بعد ذلك بماء غزير ويُعاد ذلك في كل اسبوع ما خلا عند نزول الامطار ويُداوَم على هذه الخدمة قريبًا من عام

ولاعراب البادية نظرٌ ثاقب بمعرفة انثى النخيل من الذكر ولهم بزراعة هذا النبات وإخصابهِ وتحسين اغلالهِ طرق شتَّى . قال الدكتور فيجري بك في كتابهِ علم الزراعة ما يأتي :

« والزراعون واعراب البادية لا يرغبون في النخيل المتحصل من النوى لأن اغلبهُ يصير ذكرًا فمتى تزهر النخيل يُعرَف الذكر من الانثى فيقطعونهُ وينفعون بجماره ويترك لكل عشرين من النخيل الاناث ذكرٌ واحد بل عرفوا ان للذكر الواحد يكفي لإخصاب اربعين من النخيل الاناث . واذا طعن النخيل في السن وكانت ثماره جيدة ولم ينبت في قاعدتهِ خلفة اي نخل صغير خصوصًا لم يتوفروا من نواهُ نخلًا جيدًا بالزرع فيحفظونهُ بنقلهِ بواسطة الترقيد المعروف الذي هو الواسطة الوحيدة في ذلك . ويُفعل ذلك على الكيفية الآتية وسط الشتاء ان تثقب النخلة المقصود نقلها من محلها الى آخر ثقبًا افقيًا في جميع سمك ساقها ويكون هذا الثقب اسفل الزر الانتهائي منها باثني عشر قدمًا ويكون محيط هذا الثقب عشرة قراريط ثم ينفذ فيهِ قطعة من خشب اسطوانية تكوّن مع الساق صليبًا ثم تُخاط الساق من محل الثقب بحصر او نحوها يوضع فيها طين يحيط بالساق ايضًا ثم تُثبت النخلة بواسطة حبال تُربط فيها وفي الاشجار المجاورة لها وذلك لمنع قمتها من السقوط بسبب ثقلها فتبقى هذه النخلة بدون حركة ولا تتذبذب بتأثر الهواء فيها وينبغي ان يُسقى الطين المحيط بالثقب كل خمسة ايام مرَّة لاجل ان تنبت للنخلة جذور من هذه الجهة وبعد ثمانية اشهر يتأمل في الطين لينظر هل الجذور الجديدة خرجت او لا ويستعمل لها جانب مناسب من السرجين نصفهُ من روث البهايم والنصف الآخر من زبل الحمام ويُغطى بالطين وتسقى كل خمسة ايام مرة كما تقدم ففي آخر السنة يتكون للنخلة جذور نامية بقدر الكفاية بحيث

يمكن قطعها من النخلة الاصلية فعند ذلك تُنشر بالمنشار من اسفل الطين ببعض قوارط ثم تنزل مع الاحتراس وتُغرس في المحل الذي أُعدَّ لها مع الاحتياطات اللازمة بعد تسييد هذا المحل بالسرجين الحيواني الباقي او زبل الطيور . والعادة ان تقتلع الحشائش المحيطة بالطين بل توضع مع النخلة في محل الغرس انما تقطع الحبال التي كانت محيطة بها قبل ذلك . ثم بعد الغرس يوضع حولها طين رطب الى محاذاة الزر الانتهائي وتحاط النخلة بما يقي هذا الزر من تأثير الاشعة الشمسية القوية وينبغي ان يُبنى حولها دائرة بالطين والطوب اللبن لأجل وقايتها من الحيوانات ونحوها ايضاً . وفي السنة الاولى من غرسها لا تكتسب نمواً واما في الثانية او الثالثة فتكتسب نمواً عظيماً بل وتحمل ثماراً لا تختلف عن ثمار النخلة الاصلية في شيء اه

هذا وقد عُرف بالاختبار ان هذا النبات ينمو في الاراضي الرملية حتى المالحة وانهُ يجود فيها ويأتي بريع حسن قال ابن حجاج في كلامهِ عن كيفية امتحان تربة الاراضي الزراعية : « واما الاراضي المالحة فقد رأى القدماء الهرب عنها ولا تصلح عندهم لشيء ما خلا النخل فانهُ يجود نباتهُ فيها ويكون كثير الثمر » . وقال بعد ذلك : « ومما يوافق الاراضي المالحة النخل فانهُ ينشأ فيها نشأً حسناً » . وقال قسطوس : « وتجنَّب الارض المنتنة والمالحة غير ان المالحة تصلح للنخل » . ويرتوي النخل في الصحاري بماء السحاب وهو يستفيد من مائهِ اكثر مما يستفيد من ماء الانهار والجداول . وفي بلادنا السورية سهول واسعة وفي سواحلها اراضي كثيرة تصلح لزراعة النخيل الذي لو انتبه اليهِ القوم لجنوا منهُ مكسباً وافراً وكان لهم من زراعتهِ مورد عظيم . واذا راجعنا صفحات التاريخ تأكدنا انهُ قد كان لزراعة هذا الصنف في الزمن الغابر في بلادنا شأن خطير وايراد غزير

ومن العجب ان البعض من مزارعي بلادنا يستنكفون من زراعة النخيل لاعتقادهم انهُ يبقى سنين طويلة بعد زرعهِ بدون طرح ولا غلة . وقد ساد هذا الوهم عند الاكثرين منهم وما ذلك الَّا لجهلهم باصول زراعتهِ وكيفية اخصابهِ . مع انهُ لو وُجهت لهذا النبات العناية الواجبة وغُرس على حسب الاصول الزراعية وتقدمت لهُ الخدمات اللازمة لجاد بخيراتهِ في مدة لا تتجاوز الثلاث او الاربع السنين

٣ اصناف التمر

للرُّطب اصناف عديدة واشكال كثيرة تختلف باختلاف الاقاليم وطبيعة الاراضي والاوطان والفصائل المأخوذ منها . ولذلك قد تعدَّدت القابهُ واحسنهُ الورد من جهات

الحجاز والمدينة . واهالي تلك البلاد يدعون التمر بالعجوة كما ان تمر اليمن مشهور بحلاوته وبلذيذ طعمه وطيب رائحته التي تشابه رائحة العطر . ويصدرون منهُ للخارج شيئاً كثيراً بعضه ضمن جلود الغنم والماعز او ضمن قفف من الخوص . واذا قاربت ثمار البلح الاستواء كان منظرها من اشهى المناظر . وقد جعلتها الطبيعة بموقف عالٍ حصين وبمركز امين بعيدةً عن مطامع القاصدين لا يخفرها سوى صعوبة الصعود الى اعاليها ولا يصونها سوى مشقّة التسلّق على ساقها . ومع ذلك لا يأمن اصحابهُ على غلة هذه الثمار من انقضاض الطيور وفتكها وهجوم طوائف النحل وغزواتها وحملات شراذم الزنابير ونهشها . ويُجنى البلح في بعض البلاد وهو بُسر ويُصدر الى جهات بعيدة حيث يُخلط بالخل او النبيذ لتعجيل نضجه . ويحتوي البلح على مادة غرويّة عسلية قابلة للاختمار ولذلك يفاجئ اكثر اصنافه عند تمام النضج عفونة فيضحي من الصعب تجفيفها وحفظها . ومن بعض اجناسه ما يجفُّ على الاشجار جفافاً جزئياً فيُجنى ويعرض للهواء والشمس حتى يتم جفافهُ فاذا جفَّ سهل حفظهُ زمناً طويلاً دون ان يدركهُ الفساد وتبلغ غلة النخلة الواحدة من النخل الجيد في سني الخصب ما يقارب المائتين اقّة من البلح غير انهم يقدرون ان لكل ثلاث سنوات عام راحة وفيه يكون محصول النخيل قليل التمر ويدعو ذلك المزارعون بسني الراحة

٤ مربّيات التمر

ومن هذا الثمر اللذيذ الطعم يُصنع ايضاً جملة مربيات هي في غاية الجودة والطيب ولهم بتجهيزها وتحضيرها طرق كثيرة . نذكر منها اتماماً للبحث الطريقة الآتية : يُكشط عن البلح القشرة الخارجيّة ويُسلق بعدهُ بالماء نصف سلقة ويُعرض حيناً للهواء حتى يبرد ثم يُنزع منهُ النوى بالضغط على احدى اطراف الثمرة ويُحشى محل النوى باللوز المسلوق او الفستق ويطبخ بعد ذلك بالسكر الذي يُضاف اليهِ باعتبار ان لكل اقة من البلح مائة درهم من السكّر الناعم تقريباً مع قليل من الماء الى ان يطيب . وحرصاً من الاختمار يضيفون اليهِ قليلاً من حامض الليمون والبعض يضيفون اليهِ لتحسين طعمهِ عود القرنفل او من قشر اليوسف افندي . وتمر المدينة اذا جفَّ اشبه بالرطب فيصدرون منه الى جهات مختلفة ضمن علب صغيرة من الخشب او الكرتون

ولهم في تعبيته طريقة هندسية لطيفة تحفظ البلح هيئتهُ الطبيعية فيتهادى به القوم في بلاد الانكليز ومثلهُ في روسيا وخلافها . ويعجن اهالي سوريا التمر ويصنعون منهُ حشوةً للعك الى غير ذلك . ويستخرج اقباط الصعيد من البلح مشروباً روحياً يشابه العرق الذي يصنع في بلادنا غير انهُ اشد مفعولاً واقوى منهُ تخميراً ويدعو المصريون هذا الكحول بزيب البلح . ويصنع اهالي السودان صنفاً من الجعة يستخرجونها ايضاً من البلح ومن الشعير . واذا قطعت النخلة او سقطت منكسرة بعزم الرياح يؤكل جمارها الطري الذي في اعلاها وطعمهُ لذيذ يشبه طعم اللوز الطري

٥ منافع النخيل

اوردنا قبل هذا ان منافع النخيل كثيرة وبياناً لذلك نقول انهُ فضلاً عن الريع المتحصل سنوياً من غلتهِ يجني المزارعون من زراعة اشجاره حاصلات جمة ومنافع عديدة . منها اولاً اليافه فتصنع منها الحبال لرباط المواشي والأطناب . لشد الخيام والقضاء احتياجات كثيرة خلافها . ثانياً سعف النخيل ويصنعون منهُ اقفاصاً تنقل بها الطيور والخضورات والاثمار ويُصنع منها ايضاً ادوات كثيرة هامة لخلافها ولصانعيها مهارة عظمى ودراية كبرى بتقطيع الجريد وتجهيز معداتهِ بسرعة عجيبة ورشاقة غريبة ويسهل معرفة سني النخيل من اثار قحوف الجريد التي تقطع عن النخيل سنوياً وهم يعبرون عن كل سنة بمدرجين . ثالثاً خوص الجريد ويصنعون منهُ المقاطف والقفف والزنابيل ويستعمل ذلك اهالي عدن لتصدير البن واهالي رشيد لتصدير الارز واهالي طرابلس الغرب لتعبية العجوة كما انهم يصنعون من الخوص الجيد نوعاً من الحصر ويستخدمون ذلك في قضاء اعتيازات كثيرة خلافها مما لا يقع تحت حصر ولا ادراك . رابعاً نوى البلح ويصنع منهُ العربان عند الاحتياج علفاً للإبل اثناء رحلاتهم الى الصحاري والبراري فيطحنون النوى ويعجنونهُ مخلوطاً مع عقيم التمر ويجعلون منهُ اقراصاً اذا جفت يعلفون بها الهجين وهو زاد قليل الكلفة رخيص الثمن . خامساً اخشاب النخيل يستعملها المزارعون في سد احتياجات كثيرة منها لتسقيف المنازل وانشاء الجسور او بناء المعابر خصوصاً للوقود والى غير ذلك